العتمة والنور في معلقتي أمرئ القيس وطرفه بن العبد

أ. م . د رفاه علي نعمه العزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علي سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن والاهم باحسان إلى يوم الدين .

تناول البحث دراسة اللونين (الأسود والأبيض) في معلقتي امرئ القيس وطرفه بن العبد .

ارتأت الدراسة اعتماد وتسمية (العتمة والنور) بدلاً من التعبير اللوني المباشر لأننا نرى إن استعمال ألفاظ الالوان الثانوية يعبر بشكل أدق عن الهدف الذي يرمي إليه البحث لذلك اخترنا (العتمة والنور) وهما من أكثر الألفاظ اللونية الثانوية التي نلمح فيهما اللونين الأساسيين (الأسود والأبيض) والمعبرة بشكل دقيق عن فكرة البحث .

ينقسم البحث على مبحثين تناول الأول العتمة في المعلقتين ، فدرس العتمة في مختلف تجلياتها سواء في مواضع معيّنة من جسد الانسان أم في الطبيعة بحيوانها وعناصرها من ليل ونهار وأحجار وأماكن وأطلال.

أما المبحث الثاني فقد درس النور في المعلقتين على شاكلة الدرس في موضوع العتمة . فنظر في تجليات النور في مواضع معنية من جسد الانسان وهو في اكثر وجوهه كان جسد المرأه الحبيبة وفي الغزل بها , من وجه منير وجيد أبيض اللون وأسنان برّاقة مثلما نظر المبحث في حضور النور في مكونات الطبيعة ولا سيما في النهار وإشراقه وفي تجليات النور في حيوان الطبيعة المحيطة بالانسان .

وأخيراً نسأل الله تعالى التوفيق فيما سعينا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

العتمة

العتمة لغةً

جاء في كتاب العين و اللسان العتمة : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق[١] اعتم الرجل : صار في ذلك الوقت . ويقال: أعتمنا من العتمة كما يقال أصبحنا من الصبح . واعتم القوم وعتموا تعتيماً: ساروا في ذلك الوقت[٢]، وأوردوا أو أصدروا في تلك الساعة وفي التاج العَتَمةُ (ظُلْمَةُ الليلِ) و في الصحاح ظَلامُه ، وقيل: ظلامُ أَوَّلِهِ عند سقوط نور الشفق، والعامة يسكتونها[٣]. و (عتم) الليل من باب ضرب و (العتمة) وقت صلاة العشاء ، (وعتمته) ظلامه و (أعتمنا) كأصبحنا من الصبح و (عتم تعتيماً) سار في ذلك الوقت[٤].فالعتمة ترتبط باللون الاسود والأسود لفظ يدل على الغوص في الأعماق حيث الظلمة و العتمة، وقد استشفت هذه الدلالة من حدة الدال و اتساع الواو[٥].

ويرتبط اللون الأسود بمعانٍ عديدة يمكن تلخيصها بالموت والدمار من جهة ، والشر والمهانة من جهة ثانية ، إضافة إلى القداسة و الوقار في بعض المواقف ، وهذه المعاني ما زالت شائعة له حتى يومنا هذا[٦] . فالأسود لون يثير الحزن والتشاؤم والخوف من المجهول لارتباطه بأشياء منفردة في الطبيعة ، دون سائر الألوان ، فهو مرتبط بالليل والظلام ، والهباب والرماد المتخلف من الحريق[٧] . وقد نظر العرب إلى اللون الأسود على إنه (اللالون) أو هو انعدام اللون ، ويرى ابن حزم أن المكفوف يسمى مكفوفاً لأنه لا يرى إلا السواد ، ويقول : الظلمة والسواد واحد ولا يختلف في ذلك اثنان[٨] . ولعل ارتباطه

بالليل والظلام ، وجلبه لمشاعر الخوف هو السبب المباشر للنفور منه ، فالظلام يحد الرؤية ويحجب الحقيقة[٩] وهذا جعلهم يخافون

(١) كتاب العين : ٢ / ٨٢

(٢) لسان العرب مادة (عتم)

(٣) تاج العروس : ٥٠/٣٣

(٤) مختار الصحاح : ٤٢١

(٥) اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي شعراء المعلقات انموذجاً ، أمل محمود عبد القادر أبو عون ، رسالة ماجستير ، نابلس – فلسطين ، ٢٠٠٣ م ، ص٥ .

(٦) التكوين في الفنون التشكيلية ، عبد الفتاح رياض ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣ م ، ص٢٦٠

(٧) اللغة واللون ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧م ، ص٢٠٠- ٢٠٥ .

(٨) الفيصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري تحقيق : محمد ابراهيم نصر ، و د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج٥ ، ص ٢٧٢ – ٢٧٥ .

(٩) تاريخ الشرق القديم وحضارته إلى مجيء الأسكندر الاكبر ، د. رمضان عبده علي ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص١٥٠ .

منه ويعدونه لون المجهول من الجن والغيلان[١] ، ومن باب الظلام أيضاً اقتران الأسود بالقبر والموت[٢] ، ولما كان رمزاً للموت والخراب ، وظلمة القبر فقد أصبح لوناً مكروهاً ينفر منه ومن هنا جاءت عبارة يوم أسود كناية عن التشاؤم به ، وتوقع الشر فيه[٣] .

(١) موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ، محمد عجينه ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ج٢ ، ص٢٥،٢٩،٢٠٠ .

(٢) اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي : ٣٢ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق : املين نسيب ، دار الجليل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص١٠٧ .

يدخل اللون الأسود في رسم صورة المرأة العربية ليوضح أبرز معالم الجمال ومقاييسه آنذاك ، فسواد الشعر سمة مميزة وأيقونة بارزة أحبها الشعراء في النساء وتغنوا بها كثيراً يقول أمرؤ القيس :

وفرع يزين المتن أسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل [١]

وصف شعرها بالفحم لسواده وعتمته وهي دلالة رمزية ايجابية للون الأسود ، لأن السواد للشعر دليل الشباب والقوة وصغر السن ، فهم يكرهون في الشعر اللون النقيض (الأبيض) لأن الشيب يوحي بكبر السن والضعف وفقدان النشاط ودنو الأجل والموت ، لذا فقد مالوا إلى تمجيد اللون المغاير

فالسواد للشعر صفة محببة مدحها الشعراء وأعجبوا بها وكذلك السواد والعتمة للشفاه ، فإذا كان لون الشفة يضرب للسواد فهذا مدعاة لجمال المرأة التي تحمل هذه الصفة وهي تستحق الإعجاب والغزل بها يقول طرفه بن العبد :

وتبسم عن ألمى كأن منوراً تخلل حرَّ الرمل دعص له ندي[٢]

ومن الصفات المحببة أيضاً وتعد من تمتلكها جميلة في مقياس الجمال النسوي آنذاك سواد اللثة فهذه الصفة أحبها الشعراء في المرأة وأجادوها وتغزلوا بالمرأة التي تتصف بها ذلك لأن عتمة اللثة وسوادها يبرز بياض الأسنان ويظهر شدة إشراقها ولمعانها وفي ذلك يقول طرفه :

سقته إياة الشمس إلا لثاته أُسفَّ ولم تكدم عليه بإثمد[٣]

وكانت النساء تذر الأثمد وهو (الكحل) على لثاتهن ليكون ذلك أدعى لإظهار بياض الأسنان ولمعانها .

كما تغزلوا بالعيون السوداء الكحيلة وشبهوا عيون المرأة بعيون البقرة الوحشية أو الظبية من حيث سوادها وسعتها وما فيها من بريق ولمعان يقول إمرؤ القيس :

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل(٤)

وأكد هذه الصفة المحببة لديهم طرفة بقوله

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن

مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد(٥)

---

(١) الديوان : ١١٥

(٢) الديوان : ٢٦

(٣) الديوان : ٢٧

(٤) الديوان : ١١٥

(٥) الديوان: ٢٦

الاحوى: الذي في شفته سمره

الشادن احوى لشدة سواد اجفانه ومقلتيه

أي أن هذه المرأة تشبه ظبياً أحوى في كحل العينين وسمرة الشفتين .

ولعب السواد والعتمة دوراً كبيراً في رسم لوحة الطلل في المعلقتين ، فقد رسم امرؤ القيس صورة لبقايا الديار بعد رحيل أهلها عنها ويشير إلى أن بعر الآرام قد انتشر في ساحة الديار بعد أن هجرها أهلها مشبهاً إياه بحب الفلفل لسواده وفي ذلك يقول :

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل (١)

والفلفل هو شجر له حب أسود .

فهذه الديار التي كانت آهلة بأهلها مأنوسة بهم قد غادرها أهلها واقفرت من بعدهم وسكنتها الظباء ونثرت في ساحتها بعرها حتى كأنه حب فلفل (٢).

فهو يأبى أن يستدل على الوجود الفعلي للطلل إلا بذكر بعر الآرام التي كانت تسرح في ذلك المكان الذي كان عامراً بأهله وصار بعد ذلك مرتعاً للظباء والوحوش البرية(٣) . فكأن هذا اللون الأسود العاتم (البعر) الدليل على هذه الديار ولولاه لاندثرت ولم يبق لها أثر .

أما طرفة فيرى أن بقايا آثار ديار الحبيبة وهي إطلالها تلمع لمعان بقايا الوشم في ظاهر الكف فيقول :

لِخَولةَ إطلالُ ببرقةِ تهمدِ تلوحُ كباقي الوشم في ظاهرِ اليد(٤)

هنا دخل اللون كأداة طقسية سحرية واستعمل كوشم على الجسد من أجل أن يعطيه قوة ويدفع عنه كيد الأعداء(٥) .

فبعد أن تركت خولة الديار أضحت طللاً وبقايا آثار ديار هجرها أهلها وبعدوا عنها وأصبح لمعان هذه الأطلال كأنه وشم قد لاح أثره في ظاهر اليد .

واقترن اللون الأسود بالليل وظلامه وعتمته ، وقد رسم لنا امرؤ القيس لوحة قائمة عن الليل وبالغ في تكثيف السواد فيها ليعبر من خلاله عن أحزانه وآلامه التي لا تنتهي فيقول :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي(٦)

---

(١) الديوان : ١١٥

(٢) ينظر : شرح المعلقات السبع ، ابن عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٥ ، ٢٠٠٥ ، ص٦ .

(٣) جدلية القيم في الشعر الجاهلي ، د. بو جمعه بو بعيو ، دمشق ، ٢٠٠١ ، ص٤٣ – ٤٤ .

(٤) الديوان ٢٥ .

× الوشم هو غرز ظاهر اليد وغيره بإبرة وحشد المغارز بالكحل أو النقش بالنيلج .

(٥) ينظر : اللون في الشعر العربي قبل الأسلام (قراءة ميثولوجية) ابراهيم محمد علي ، طرابلس – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص٢٧ .

(٦) الديوان : ١١٧

فالليل في طوله وعتمته يشبه أمواج البحر ومثلما أمواج البحر طويلة ومعتمة ومخيفة وتخبئ في طياتها أسراراً وتخفي مصيراً مجهولاً فكذلك ليل الشاعر طويل ومعتم ومخيف ، زمن ممتد يأبى الرحيل ، وألم مستمر يأبى التوقف .

أن التركيز اللوني لليل وتكثيفه بواسطة الظلام المعتم منح الشاعر قدرة في إيصال أزمته النفسية للمتلقي وجعل المتلقي يتفاعل معه بشكل كبير . فكانت العتمة نقطة تفاعل مركزية ما بين الشاعر والمتلقي .

ويبقى اللون الأسود بعتمته وظلامه الحالك هو المهيمن على الحالة النفسية للشاعر ، فهو لا يرى نوراً يمثله ضوء الصباح وإشراقا يعبر عن مجيء النهار ، فيخاطب الليل الذي يراه زمناً طويلاً ممتداً قائلاً له :

(انكشف ونح ظلامك عن عيني لأرى بياض الصبح)

وذلك في قوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل[١]

هنا أصبح اللون الأبيض (الصبح) امتداداً للون الأسود المظلم (الليل) فالعتمة الغت النور ولم يعد للبياض أي وجود في نظر الشاعر فالنهار باقٍ على عتمته كالليل ولا فرق بينهما والزمن هنا نفسي عند الشاعر يتلون بألوان ذاته وأحساسه . فمجيء الصباح لا يغير من الأمر شيئاً فالليل المظلم وهو رمز الحزن واليأس هو الباقي والثابت .

الزمن
(الليل)
أسود (معتم)

النهار أبيض (نور)

(١) الديوان : ١١٧

فالصبح من حيث هو زمن وا ـ ونور) صار امتداداً لليل (سواد وعتمة) وتطابق معه ، فعلى الرغم من أن اللونين يحملان دلالتين متناقضتين أ ـهم في الشعور الداخلي والنفسي للشاعر عبرا عن دلالة واحدة فقد لازمت المشاعر السلبية الشاعر ليلاً ونهاراً وهذا دليل على الحزن واليأس وفقدان الأمل . أما ليل طرفه فينا قض ليل امرئ القيس فلا يطول عليه الليل بظلامه وعتمته فنراه فيقول في ذلك :

لعمرك ما أمري عليَّ بغمة نهاري ولا ليلي عليَّ بسرمدِ[١]

فالنوائب لا تغمه فيطول ليله ويظلم نهاره ، ولا يحير في أمره نهاراً ولا يؤجله ليلاً فيصبح ليله الى جانب عتمته سرمداً . فهو يكشف لنا عن ذكاء وعزيمة وقدرة على تجاوز الصعاب وبالتالي القدرة على تخطي المحن والالام واحتمال الليل كمدلول رمزي وكزمن .

ومن المواطن المحببة للأسود العاتم في الحيوان العيون ، فالعين السوداء صفة جمالية بارزة في الظباء والبقرة الوحشية والناقة يقول طرفه :

طحوران عوار القذى فتراهما كمكحولتي مذعورةٍ أُمّ فرقدِ[٢]

شبه عيني الناقة بعيني البقرة الوحشية في سعتها وسوادها وحسنها.

الديوان :٣٨(1)

الديوان :٣٠)٢(

المبحث الثاني

النور

في كتاب العين : الضياء، والفعل : نار ينور نورا و أناره . واستنار، إي : أضاء[١] وجاء في اللسان النور: هو في أسماء الله تعالى : النور، قال ابن الأثير : هو الذي يبصر بنوره ذو العمايه ويرشد بهواه ذو الغواية والنور: الضياء . والنور ضد الظلمة. وفي المحكم : النور الضوء ، أياً كان ، وقيل هو شعاعه و سطوعه والجمع أنوار ونيران[٢] و(التنوير) الاناره . وهو أيضا إزهار الشجرة يقال (نورت) الشجرة (تنويرا) و(أنارت) إي أخرجت (نورها)

تنوع النور في هذا المبحث ليشمل

أولا: نور المرأة

أ- البشرة

ب- الجيد

ج- الأسنان

ثانيا - نور الحيوان

ثالثا- نور الندماء

رابعا- نور الطبيعة

(١) كتاب العين : ٨ /٢٧٥
(٢) اللسان مادة (نور)
(٣) مختار الصحاح : ٦٨٤

إن اللون أحساس ، ويتم هذا الإحساس عندما يصطدم اللون الأبيض بجسم ما ، فيمتص هذا الجسم جزءا من هذا الضوء ، ثم يعكس الباقي[١] وقد تفاءل العرب باللون الأبيض وعدوه فعلا رمز السلام والنقاء والبشارة[٢] وهو من الناحية العلمية ، ليس لونا بالمعنى المعروف ،لان كل الألوان متضمنة فيه، وعد هو والأسود والرمادي من الألوان المحايدة أو السلسلة غير الملونة[٣] والأبيض لون يدل على الإشعاع والانطلاق لما فيه من اجتماع الياء الدالة على الاتصال والضاد بما فيها من نفور وإفلات من المركز[٤]

و الأبيض من حيث الدلالة والتركيب الصوتي يقع في المقابل من اللون الأسود وقد كثر حضور النور والضياء والبياض في المعلقتين واقترن كثيرا بجمال المرأة وسحرها ونصاعة بشرتها فتغني الشعراء الجاهليين عموما و امرؤ القيس خصوصا بالمراه البيضاء وتعدد وصفه لها مرة باستعمال اللفظ اللون المباشر (بيضاء) وذلك في قوله: مهفهة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل[٥]

و أخرى باستعمال الرمز اللوني المعبر عنه وذلك في قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل[٦]

والعرب تشبه المرأة بالبيضة لأسباب كثيرة منها لصفاء اللون ونقائه و أجمل الوان النساء عندهم ما خالط بياضها صفرة ولذلك كثيرا ما شبهت المراه بالشمس والبدر لأنه ليس بياضا خالصا وإنما يشوبه صفرة يقول امرؤ القيس: كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل[٧]

وهذه المرأة تبسم عن وجه كأن الشمس كسته ضياءها وجمالها ونورها يقول طرفه :

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه نقي اللون لم يتخدد[٨]

أما امرؤ القيس فيشبه بياضها ونورها وإشراقها بمنارة الراهب التي لا تنطفأ فيقول :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسي راهب متبتل[٩]

فهي تشع نورا وحسنا بالليل حتى كأنها منارة وخص الراهب لأنه لا يطفيء سراجه، يقول ابن الانباري: قوله: ((تضيء الظلام بالعشاء)) معناها :هي وضيئة الوجه ، زهراء، مشرقه الوجه ،إذا تبسمت بالليل , رأيت لثناياها بريقا وضوءا، وإذا برزت في الظلام ، استنار وجهها، و ظهر جمالها، حتى يغلب الظلمة.

(١)اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية) ، إبراهيم محمد علي :١٩ .
(٢)جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم ، د. ابتسام مرهون الصفار ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، ٢٠١٠ ، ط١ ، ص٢٦٤
(٣)اللغة واللون ، د. أحمد مختار عمر : ١١ .
(٤)اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي : ٥ .
(٥) الديوان : ١١٥
(٦) الديوان : ١١٤
(٧) الديوان : ١١٦
(٨) الديوان : ٢٧
(٩) الديوان : ٢٧

(١٠) شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات ، أبو بكر محمد بن القاسم الانباري ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ،٢٠٠٥م ص٩٠

وتغزلوا بجيد المرأة ، وكثيراً ما شبه عنق المرأة بعنق الظبي الأبيض الخالص البياض يقول امرؤ القيس :

وجيدٍ كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل[١]

فجيدها يتلألأ صفاء وبياضاً ويبرق كبريق المرآة الصافية .

أما الأسنان فينبغي بالتأكيد أن تكون بيضاء ناصعة وتشع بريقاً ولمعاناً وما مدحهم لسواد الشفة واللثة إلا لأن السواد يبرز بياض الأسنان وإشراقها .

وتبسم عن ألمى كأن منوراً تخلل حُرّ الرمل دعصٍ له ندى

سقته إياه الشمس إلا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأثمدِ[٢]

فهو يصف ثغر المرأة بالبياض والإشراق حتى كأن الشمس أعارته ضوءها . ويستثني اللثة التي أسفت بالاثمد وهو (الكحل) فالنساء العربيات يذرن الاثمد على الشفاه واللثة لإبراز شدة بياض الأسنان ولمعانها كما ذكرنا ، وهي صورة جميلة تظهر اجتماع النقيضين (العتمة والنور)

ونجد النور والضياء والبياض في وصف الحيوان ، فقد شبه طرفة خد ناقته بالقرطاس لبياضه ونعومته وملاسته فقال :

وخدُ كقرطاس الشآمى ومشفرُ كسبت اليماني قَدُهُ لم يُجرَّدِ[٣]

أما امرؤ القيس فقد شبه شحم ناقته التي عقرها بالبريسم الأبيض لبياضه ونعومته فقال :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل[٤]

وتميزت ناقة طرفة بعينين تشبهان مرآتين في صفائهما ونقائهما وما فيهما من بريق ولمعان وقد عبر عن ذلك بقوله :

وعينان كالماويتين استكنتا بكهفى حجاجى صخرة قلت مورد[٥]

(١) الديوان :١١٥

(٢) الديوان : ٢٦-٢٧

(٣) الديوان : ٣٠

(4) الديوان ١١٢

(٥) الديوان ٣٠

ودخل النور الذي يرمز للون الأبيض في وصف طرفه لندمائه بالنجوم ، وهي صورة لونية نمطية ، وصف الرجل / الممدوح بالبياض

يقول طرفة :

نداماي بيضُ كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومُجْسَدِ[١]

فقد و صفهم بالبياض و النور الساطع (إشارة إلى كونهم أحراراً ولم يرثوا سوادا لان أمهاتهم من الحرائر وقد يكون تشبيههم بالنجوم لإشراق ألوانهم و تلألىء غررهم او لنقائهم من العيوب)[٢].

فقد نفر العرب من البشرة السوداء و تشاءموا منها لما تحمله من دلالة على أن صاحبها عبدا وليس حرا ، وما يترتب على ذلك من كونه ليس عربيا خالصا وغيرها من القضايا التي تتعلق بالنسب. وكان للطبيعة حظ في رسم صورة النور والتفاؤل وذلك من خلال (البرق) الذي يمثل الحديث عنه وذكره الجانب المشرق والأبيض في حياة العرب آنذاك لما عرف عن الجزيرة

العربية من شح المياه وقلة مواردها و سنوات الجفاف والمحال فمن الطبيعي أن يعد ذكره والحديث عنه الحديث عن الحياة والنور والخير

يقول امرؤ القيس:

أصاحِ ترى برقا أريكَ وميضَهُ كلمعِ اليدين في حبِيٍّ مُكللِ[٣]

يضيءُ سناه أو مصابيح راهب أهان السليط في الذبال المفتلِ

(١) الديوان : ٣٢

(٢) ينظر: شرح المعلقات السبع / الزوزني : ٦٨

(٣) الديوان : ١٢١

فهذا البرق يتلألأ ضوءاً حتى إنه يشبه في حركته لمع اليدين أو مصابيح الرهبان إذا أنعم صب الزيت عليها فتضيء وتنير ما حولها .

و إذا كان اللون الأسود يرمز إلى الحزن والهرم والموت و الأبيض يرمز إلى النور والإشراق والحياة فأن اجتماعهما في صورة واحدة يعطيها قوة أكبر ويمنحها طاقة إيجابية ناتجة عن اجتماع النقيضين ، فحين يجتمع الحزن والفرح والظلام والنور والموت والحياة في صورة واحدة فذلك يعطي تصوراً واضحاً لتكامل الوجود وديمومة الحياة .

ومن الأمثلة على اجتماع المتضادين (العتمة والنور) في المعلقتين ما نجده في صورة المرأة فسواد شعرها وبياض بشرتها من أقوى صور الجمال المعبرة عن اجتماع الضعف والقوة والموت والحياة في صورة تكاملية لاجتماع الشيء وضده .

وقد يجتمع اللونان في الحيوان أيضاً وذلك حين يكون الحيوان أبيض اللون وقوائمه سوداء ، فهذا يعطي للحيوان قوة إضافية سببها اجتماع النقيضين قال امرؤ القيس :

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مُذيلِ[١]

(فظهر قطيع من بقر الوحش وهي بيض الظهور سود القوائم يلوذ بعضه ببعض ، ويدور حواليه كما تدور العذارى حول الصنم في الجاهلية[٢]).

ثم شبه بقر الوحش بالخرز اليماني لأن طرفه اسود وسائره ابيض وكذلك بقر الوحش وذلك في قوله :

فأدبرنَ كالجذعِ المفصل بينَهُ بجيدٍ مُعَمٍّ في العشيرةِ مُخوَلِ

(١) الديوان :١٢٠

(٢) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ، ابن النحاس ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – د.ت ،ج١ ،ص٤٠

(٣) الديوان : ١٢٠

الخاتمة

من خلال ما استعرضناه من عتمة ونور في معلقتي امريء القيس وطرفه بن العبد يمكن الوصول إلى النتائج الآتية :

١- العتمة هي الظلمة وهي ثلث الليل بعد غيبوبة الشفق .

٢- النور هو الضياء ، وهو ضد الظلمة ، أي أنه شعاع الضوء وسطوعه .

٣- أن دلالة اللون الأبيض على الخير والتفاؤل قد يكون هو السبب في علاقة هذا اللون بالنور والإشراق .

٤- ارتباط اللون الأسود بالظلام والعتمة والموت جعل منه لوناً مخيفاً ومكروهاً في حالات عند الشعراء ,

٥- لم تكن دلالات اللون الأسود موحده في المعلقتين أنما خضعت للسياق النصي الذي وضعت فيه فمرة يكون هذا اللون مصدراً للجمال والبهجة وذلك في حديث الشاعر عن جمال المرأة (شعرها / لثتها / عينيها) مثلاً ومرة يكون مصدراً للحزن والألم كما في لوحة الليل عند أمريء القيس والطلل عند الشاعرين .

٦- لم يخرج الشاعران في المعلقتين عن الدلالة المألوفة للونين (الأسود / الأبيض) بل اعتمدا الموروث الإنساني الذي ورثاه عن المجتمع وما كان يعتقده المجتمع الجاهلي عن اللونين آنذاك .

٧- اجتماع اللونين المتناقضين (الأسود / الأبيض) في الصورة الواحدة يزيد في جمالها وقوتها لاجتماع الضدين وحصول التكامل الوجودي لأنه ناتج عن اجتماع الشيء بضده القوة بالضعف والفرح بالحزن وهذا ما يسعى الإنسان دائماً إلى تحقيقه .

المصادر والمراجع والبحوث

أ- المصادر

١- تاج العروس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق إبراهيم التوزي ، الكويت ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .

٢- ديوان امريء القيس ، ضبطه و صححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت .

٣- ديوان طرفة ، حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م

٤- شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ، ابن النحاس ابي جعفر حمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت .

٥- شرح المعلقات السبع ، ابن عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط٥ ، ٢٠٠٥م.

٦- شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات ، أبو بكر محمد بن القاسم الانباري ، المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان ، ط٥ ، ٢٠٠٥ م .

٧- فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق املين نسيب ، دار الجليل ، بيروت ، ط١ , ١٩٩٨م .

٨- الفيصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، ود. عبد الرحمن عميره ، دار الجليل بيروت ، ١٩٨٥ م .

٩- لسان العرب ، ابن المنظور ، صححه أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٩م .

١٠- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الرسالة . الكويت ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م

ب – المراجع

١- تاريخ الشرق القديم وحضارته إلى مجيء الأسكندر الاكبر ، د. رمضان عبده علي ، دار نهضة الشرق القاهرة ، ١٩٩٧ م .

٢- التكوين في الفنون التشكيلية ، عبد الفتاح رياض دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣ م .

٣- جدلية القيم في الشعر الجاهلي ، د. بو جمعه بوبعيو ، دمشق ، ٢٠٠١م .

٤- جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم ، د. ابتسام مرهون الصفار ، عالم الكتب الحديث – اربد – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م .

٥- اللغة واللون ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط[1] ، ١٩٩٧م .

٦- موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ، محمد عجينة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط[1] ، د.ت .

جـ _ البحوث

اللون وابعاده في الشعر الجاهلي شعراء المعلقات انموذجاً ، أمل محمود عبد القادرة ابو عون ، رسالة ماجستير نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٣م .